Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبخاصة أثناء الليل حيث لا جليس ولا سمير، ولا ضوضاء ولا حركة، فيجلس الشاعر إلى ذاته وتستيقظ في داخله جميع أحاسيسه ومشاعره، وما يقاسيه من عذاب وألم، وكأنه كان في غفلة عن ذلك، وكأن تلك الهموم والآلام دخلت عليه فجأة، فيبدأ صراعه مع نفسه وصراعه مع جسده. ويطول الصراع ويطول الأرق والسهر، ويطول الليل، ويتعذر عليه النوم، ويترقب طلوع الفجر، فهو يريد الخلاص من تلك الهواجس، ومن تلك الهموم التي احتشدت عليه، فالظلام يزيد من غمّه، والنور يفْرج عن همه.

ومن الشعراء من يضعف وينهار أمام تلك المحنة، فللسجن أثر كبير في تحطيم العنفوان والجلد، وأمام ذاك الواقع لا يجد الشاعر مناصاً من البكاء فيفرج بذلك عن نفسه، ولا يكتم الوهن الذي تملك نفسه في عزلته، فيعبر عن ذلك في شعره.

هذا شيء مما كان من أمر الشجون التي كانت تزعزع نفس السجين وتستدر دموعه، وإلى جانب ذلك كان هناك من يتحمل ويصبر، وهناك من يرجع إلى الله ويتوب.

4 ـ الصبر والتوبة

حديث السجناء عن الصبر كثير في ثنايا نتاجهم الأدبي، وهو حديث الانسان المعذّب وردود فعله في وجه الملمّات الفادحة، وما لديه من الاحتمال والقدرة على المقاومة، وهذا يتفاوت عند الناس، فمنهم من جبل على القوة والتمرد، ومنهم من جُبِلَ على الضعف والهوان.

تعرض عبيد الله بن الحر الجعفي لتجربة السجن، سجنه مصعب بن الزبير، وكان عبيد الله من أفضل قومه صلاحاً، كما كان من شجعانهم وفرسانهم المعدودين، وكان قد حبس معه «عطية البكري» ويبدو أن عطية كان ضعيفاً، لذلك خاطبه عبيد الله قائلاً:

أقول له صبراً عَطِيُّ فإنّما ... هو السجن حتى يجعلَ اللهُ مَخْرَجَا
أرى الدّهرَ لي يومين: يوماً مُطَرَّداً ... شريداً، ويوماً في الملوكِ مُتَوَّجَا[1]

(1) تاريخ الطبري 6/ 136، وردت هذه الأبيات في بحثنا ص 135.